الأهرام

المصدر : روز اليوسف

التاريخ : ٢٠ اكتوبر ٢٠٠١

لعل الصبغة الأساسية للحرب الدائرة الآن فى أفغانستان هى المتناقضات الصارخة التى تملأ جميع فصول هذه الحرب، وفى مقدمة هذه المتناقضات وأكثرها صراخاً، هى أن الولايات المتحدة الأمريكية كانت طوال العقدين الماضيين مشغولة تماما بـ«حرب النجوم» وشبكة الدفاع الصاروخى ومحاربة القوى العظمى، وإذا بالتهديد يأتيها من حفنة من المطاريد، والملفوظين من مجتمعاتهم الأصلية، فيما يسمى بـ«العرب الأفغان».

ولا أدرى كيف يمكن أن يكونوا عربا وفى الوقت ذاته أفغانا؟! ولكنه استطراد فى التناقض الذى يغلف كل الأحداث الجارية، لقد تمركز الأفغان العرب داخل دولة أفغانستان، ولكنهم فى حد ذاتهم لا يشكلون دولة، ويتسترون وراء عباءة الإسلام مع أن الإسلام لا يعرف الإرهاب، بل إنه يحرم إرهاب الآخرين ولو بالنظرة كما أشار إلى ذلك الدكتور الجليل عبدالله النجار فى مقاله بـ «روزاليوسف» فى العدد الماضى!

مجموعة هائلة من المتناقضات هى بالتأكيد وراء الفهم الخاطئ الذى يسود الآن بين قوات التحالف وبين دول العالم الإسلامى وبين كل دول العالم، فهم خاطئ جعل رجل الشارع فى العالم الإسلامى يتصور أن الحرب موجهة إليه وإلى الإسلام، وفهم خاطئ جعل رجل الشارع فى العالم الغربى يوجه الاتهام إلى الإسلام والمسلمين، مع أن المسلمين كانوا أول ضحايا هذا الإرهاب، ومع أن الإرهاب ينال أول ما ينال من صورة الإسلام، هذا الدين العظيم الذى تعبث به عقول شريرة واعية - ولا أقصد هنا العرب الأفغان لأنهم لا يخرجون عن كونهم أداة جاهلة فى أيدى هذه العقول المدبرة التى ساهمت فى وضع أسس هذا المخطط الشيطانى الذى زعزع الاستقرار فى كل أرجاء المعمورة!

تناقضات كثيرة يمكن أن نتناولها هنا، ولعل أبرزها أن

www.ethraadl.com

إثراء المعارف الرقمية

قادة الإرهاب يحتمون إلى يومنا هذا فى قلب الدول الأوروبية وعلى رأسها بريطانيا التى تعتبر شريكا أساسيا للولايات المتحدة فى الحرب الدائرة الآن ضد الإرهاب! أى خبل هذا؟! وأى نفاق سياسى ومذهبى وأخلاقى على أعلى درجات النفاق والخداع؟!

وعلى مستوى عمليات القتال.. فإنه فى الوقت الذى تقذف فيه طائرات القتال الأمريكية المدن الأفغانية، فإنها لا تقترب من تجمعات جيش طالبان والعرب الأفغان! والسبب المعلن وراء هذا التناقض القتالى هو أن باكستان التى تعد من أكبر حلفاء واشنطن فى التحالف ضد الإرهاب لا ترغب فى ضرب قوات طالبان، لأن معنى ذلك تقدم قوات الجبهة الأخرى: قوات التحالف الشمالى فى أفغانستان التى يمكنها حينذاك احتلال العاصمة كابول، وهو ما لا توافق عليه باكستان ولا ترتضيه، فأى تحالف هذا؟! وأى تناقض ذلك الذى يواجه قادة هذه العملية القتالية؟! نوع من التحالف، وشكل من التناقض الصارخ كان من نتائجهما أن قوات طالبان ورجال «جيش العرب الأفغان» يجلسون آمنين على مسافة ٣٥ كيلومترا شمالى العاصمة، يراقبون من بعيد الهجمات الأمريكية والبريطانية على العاصمة الأفغانية والمدن الأخرى، وذلك فى نفس الوقت الذى تضرب فيه قوات تحالف الشمال أخماسا فى أسداس، لأن عمليات الهجوم الجوى لم تقترب من صلب المشكلة، ولأن رجال طالبان لن يقضى عليهم إلا هجوم برى يتم التمهيد له بالهجمات الجوية حتى يمكن لقوات التحالف الشمالى أن تقوم بهذا الهجوم، الأمر الذى لا تريده باكستان!

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

إذن فإنه لا مفر في النهاية من ضرب قوات طالبان مع الحيلولة دون قيام قوات التحالف الشمالى من استغلال هذا النجاح والتقدم إلى العاصمة كابول، حتى يمكن إرضاء الحليف الباكستانى، ولذلك ظهرت فى سماء المعركة لأول مرة طائرات القتال «إيه سى - ١٣٠ يو» التى تعد أحدث طائرة من نوعها فى العالم.

وهى عبارة عن نظام تسليح متكامل وقلعة مدفعية محمولة جوا تستطيع العمل ليلا ونهارا وفى جميع الأحوال الجوية، وهى مزودة بأجهزة رؤية وكشف إلكترونية متقدمة وأجهزة كشف بالأشعة دون الحمراء وأجهزة رؤية تليفزيونية، كما أنها مسلحة بمدفع عيار ٤٠ ملليمترا سريع الطلقات من طراز «بوفروز» ومدفع «جاتلنج» من عيار ٢٥ ملليمترا ومدفع هاون من عيار ١٠٥ ملليمترات، ومهمتها الأساسية هى تقديم الدعم للقوات التقليدية وقوات العمليات الخاصة المشتركة فى أى وقت وفى أى مكان، وقد تم تصميم نظام إطلاق النيران الخاص بها بحيث يستطيع أن يضرب من الجوانب ومن الخلف فى نفس الوقت، وذلك بجانب القدرة على إطلاق الصواريخ جو - أرض، كما أنها مدرعة بحيث تصعب إصابتها، واستخدم الجيل الأول منها فى عام ١٩٦٧ أثناء الحرب الفيتنامية، وحققت نتائج باهرة عندما استطاعت تدمير ١٠ آلاف دبابة ومركبة لقوات فيتنام الشمالية، وفى عام ١٩٨٩ كان لها دور فعال فى بنما واستطاعت أن تدمر وزارة الدفاع

هناك وعددا من الألوية البرية التابعة لبنما، كما اشتركت فى حرب الخليج فى إطار عملية «عاصفة الصحراء»، وفى عام ١٩٩٣ لعبت دورا فى حرب الصومال عندما قامت بضرب منزل الرئيس الصومالى محمد فارح عيديد، ثم بعد ذلك استخدمتها قوات حلف الأطلنطى بكفاءة فى حرب البوسنة والهرسك، كما اشتركت فى ضرب الأهداف الحيوية فى سراييفو.

ويؤذن ظهور هذه الطائرة الترسانة بقرب تدخل القوات البرية للتحالف، وهى ليست قوات تقليدية ضخمة، ولكنها وحدات خاصة مما يسمونها بالصفوة والتى نطلق عليها عندنا قوات الصاعقة، بينما يسمونها هناك ب «الرينجرز»، ومن هنا فإن الهجوم المتوقع لن يكون أبدا على غرار الهجوم الذى شنته قوات الاتحاد السوفيتى السابق والذى كان هجوما بالمواجهة وواضحا وضوح الشمس يعكس فى المقام الأول استهزاء تاما بالخصم واستهتارا تاما من جانب القوة العظمى الثانية فى العالم بتلك الدولة الصغيرة والفقيرة التى تسمى أفغانستان!

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

ومما يؤكد هذا الاتجاه فى التفكير، والذى يمكن أن يدمر أية قوة عسكرية فى العالم، هو أن تقديرات المكتب السياسى السوفيتى فى ذلك الوقت كانت تشير إلى أن عملية الغزو لن تستغرق أكثر من ثلاثة أيام! ولكن كما رأينا جميعا فإن هذه الحرب استغرقت أحد عشر عاما كاملة تم خلالها إنهاك القوات السوفيتية وتآكل سمعتها وهيبتها كقوة عظمى!

هذا الفشل الكبير كان نتيجة الغرور وسوء التقدير من جانب السوفييت، ولكنه أيضا وبقدر كبير كان نتيجة التدخل الأمريكى وإمداد الأفغان بالخبرات وبكل أنواع الأسلحة بما فى ذلك صواريخ «ستينجر» المضادة للطائرات التى يحملها جندى واحد وتعمل من فوق الكتف، والتى كانت واشنطن وقتها قد رفضت تزويد حلف الأطلنطى بهذا النوع المتقدم من الصواريخ، كما رفضت صفقة ضخمة لبيع هذه الصواريخ لدولة الكويت التى كانت دائما فى حالة ذعر من القوات العراقية! صواريخ لا تحتاج أكثر من الضغط على زر صغير فتنفجر فى الجو الطائرات السوفيتية الضخمة واحدة تلو الأخرى!

والذى يهمنا هنا هو أن فشل الغزو السوفيتى لأفغانستان، للأسباب التى ذكرناها آنفا، هو الذى مهد الساحة لظهور طالبان وأسامة بن لادن والأفغان العرب الذين تصوروا بغباء وسذاجة أنهم ماداموا استطاعوا أن يهزموا القوة الثانية فى العالم فلماذا لا يهزمون القوة الأولى؟! ولماذا لا يطيحون

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

بجميع الأنظمة العربية الحاكمة؟! ولماذا لا يدين العالم كله لسلطانهم؟!

إنه نوع من الهوس أو الجنون، سَمِّه ما شئت، ولكن الذى يحدث الآن هو أننا أمام حرب من نوع جديد انتهت المرحلة الأولى منها بتدمير كافة عناصر الدفاع الجوى بواسطة هجمات الصواريخ «كروز» و«توماهوك» وقاذفات القنابل الاستراتيجية الضخمة، وإن كان الأمر لا يستحق كل هذا الكم الهائل من الأسلحة الحديثة، ولكن الأمريكيين تجنبوا الوقوع فى الخطأ الاستراتيجى الذى وقع فيه السوفييت عندما استهانوا بالخصم الذى يحاربونه، ورغم علمهم بأن الأسلحة المتوافرة حاليا لدى الأفغان إما قد بليت أو أنها أصبحت غير فعالة بالمرة، ورغم تأكدهم من عدم وجود قوة عظمى تقف وراء الأفغان بالمال والخبرات والسلاح، كما وقفوا هم أنفسهم أثناء الغزو السوفيتى انتقاما من السوفييت الذين وقفوا مع هانوى أثناء الحرب الفيتنامية التى انتهت بمأساة تاريخية بالنسبة للأمريكيين!

وطبقا للقواعد الكلاسيكية للحرب، فإن ساحة القتال هناك أصبحت ممهدة للتدخل البرى المنتظر، ومع ذلك خرج وزير الدفاع الأمريكى بقوله أنه ليست هناك «طلقة فضية» (الطلقة التى تستطيع وحدها أن تقتل الساحر الشرير كما تقول الأساطير) وأنه ليس هناك عمل واحد من شأنه القضاء على هذا التهديد، وأن نجاح هذه الحملة يعتمد أساسا على خلق ضغط متواصل ومستمر يؤدى بالإرهابيين ومن يعاونهم إلى الانهيار من الداخل.. وحتى يتحقق ذلك فإننا قد ننتظر سنوات طويلة، وسواء لقى بن لادن حتفه أو تم القبض عليه هو وجميع أعوانه فإن الأهم من ذلك بكثير بالنسبة للاستقرار العالمى، هو القضاء على الرؤوس المدبرة التى زرعت هذه الفكرة الشيطانية والذين ينعمون حاليا فى القصور الفارهة وفى العواصم الأوروبية التى تتشدق بالحرية. ■

محمد عبدالمنعم

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية